العرب
الثلاثاء 2020/04/07
السنة 42 العدد 11670

رؤية إسبانية مرعبة لمستقبل بشري بهيمي

«المنصة» فيلم يصور البشر وهم يأكلون لحم بعضهم البعض في عالم كابوسي

أثار الفيلم الإسباني "المنصة" الذي بدأت شبكة نتفليكس عرضه مؤخرا في خضم الحالة التي تسيطر على العالم مع التفشي المرعب لفايروس كورونا القاتل، اهتماما كبيرا من جانب المشاهدين.

ديستوبيا الفواجع والمواجع

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

"المنصة" The Platform فيلم يعكس نوعا عن "الديستوبيا"، أي يعرض صورة خيالية للعالم، تلخّص علاقة الإنسان بالسلطة، برفيقه الإنسان، بالطبقات بعضها ببعض، بالصراع الإنساني من أجل النجاة، وبالشعور الخانق الذي يُذيب المسافة بين الواقع والحلم، وبين الحقيقة والكابوس، ويجسّد الهوة الكبيرة بين الفقراء والأغنياء. إنه يجعل المشاهدين يعيشون تجربة المشاهدة كما لو كانوا قد أصبحوا هم أنفسهم، أسرى داخل ذلك المكان الغريب المُغلق الذي تدور فيه مشاهده.

الثيمة الأساسية في الفيلم هي "الصراع على الطعام". وهي ثيمة رمزية تشير إلى فكرة "الالتهام" أو الاستهلاك الذي لا يُتيح الفرصة لأحد أن يشبع قط. فنحن داخل ما يشبه السجن أو "الإصلاحية" التي يذهب إليها الناس طواعية أو إكراها. سواء للتعلم والإقلاع عن عادة سيئة كما يفعل بطل هذا الفيلم، أي الشخصية الرئيسية فيه الذي يختار لنفسه اسم "غورينغ"، أو رجل الشارع "تريماغاسي"، نموذج الإنسان "العادي" الذي يأتي إلى هذا المكان الذي يجمع بين العقاب والاختبار، بعد أن قتل مهاجرا غير شرعي ولا يبدو أنه نادم بأي قدر على فعلته هذه بل يراها "شرعية" تماما. لكن غورينغ سيُصبح رمزا، تماما كما سيُصبح تريماغاسي كما لو كان انعكاسا للجانب المُظلم في الإنسان، لا يختفي أبدا حتى بعد أن يقتله غورينغ!

صراع بقاء

غورينغ جاء بمحض إرادته راغبا في البقاء لستة أشهر بغرض الإقلاع عن التدخين وقراءة رواية "دون كيشوت" التي اختار أن يأتي بها معه، وأن يحصل على شهادة بقضاء الفترة في هذا السجن أو الإصلاحية أو المُعتقل (لا فرق). أما زميله في نفس الزنزانة (في البداية) تريماغاسي، فقد أُرغم على قضاء فترة في هذا البرج العجيب، عقابا له على جريمته، مع السماح له باختيار أن يأتي معه بسكين. ولكن لا أحد أفضل من الآخر. والصراع سيكون على البقاء. والبقاء يقتضي تناول الطعام، لكن الطعام ينتقل فوق مائدة عامرة بين الزنازين العمودية الموجودة داخل هذا البناء أو البرج العمودي المكوّن من طوابق لا يبدو أن لها نهاية، عبر مائدة كبيرة نرى الطهاة في مطعم البرج، في بداية الفيلم وهم يعدّونها من أشهى المأكولات.

تخترق هذه المائدة الطوابق، تتوقّف للحظات في كل طابق حتى يتناول نزلاء الطابق بعض الطعام. لكنها سرعان ما تهبط إلى الطابق التالي قبل أن يكون النزلاء قد تناولوا ما يكفيهم. ونزلاء تلك الطوابق لا يعرفون ماذا سيحدث لهم؟ ففي كل شهر ينتقلون من طابق إلى آخر على نحو عشوائي، لكننا نعرف أن طوابق الأثرياء في الأعلى والفقراء في الأسفل. ويمكن أن يتبوّل الذين في الأعلى أو يبصقون أو حتى يتبرّزون على مائدة الطعام التي تقع في الزنزانة الموجودة تحتهم مباشرة.

من هو غورينغ هذا؟ ومن هو زميله؟ تريماغاسي الذي لا يوحي اسمه المختار قط بحقيقته قد يكون من المؤمنين بالاشتراكية. إنه نموذج المثقّف الذي يقترح في البداية، توزيع الطعام بالتساوي، فيتطلّع إليه رفيقه الفظ في دهشة واستغراب: هل أنت شيوعي؟

وغورينغ سينحاز أيضا إلى الجانب الضعيف: المرأة التي جاءت إلى هذا المكان الغريب فقط من أجل العثور على ابنها الطفل المحتجز لسبب لا ندريه. وهي تهبط وتصعد بين الطوابق الجهنمية التي لا نهاية لها، فوق تلك المائدة التي تتدرّج في الصعود والهبوط من خلال ما يشبه مصعد تديره قوة خفية لا نراها قط.

وعندما نرجع في فلاش باك يتكرّر مرة أو مرتين عبر الفيلم، إلى غورينغ وهو يمرّ بما يشبه الاستجواب من جانب امرأة تعمل لحساب هذا البرج الغامض، سرعان ما نرى أن هذه المرأة ستصبح بدورها نزيلة أو رفيقة الزنزانة مع غورينغ. فبعد 25 سنة في خدمة "المؤسسة" جاءت طواعية لتقضي أيامها الأخيرة بعد أن فشلت في مقاومة السرطان.

> صراع البقاء يرغم كثيرين على تناول اللحم البشري لقلة الطعام الذي توفّره «الإدارة» الخفية التي تحكم وتتحكّم باللعبة بأسرها

إننا أمام رؤية عبثية عن المصير الإنساني. هناك بحث مرهق عن التفوّق، عن تحقيق الخروج والانعتاق من تلك الآلة الجهنمية، من الطوابق السفلى إلى الطوابق العليا بحثا عن النجاة، عن البقاء الذي يرغم الكثيرين على تناول اللحم البشري لقلة الطعام الذي توفره "الإدارة" الخفية التي تحكم وتتحكّم في اللعبة بأسرها، واللعبة تبدو أبدية، لا مخرج منها. هنا سيتعيّن عليك أن تقتل أو تُقتل، فالتشكّك يُسيطر على الجميع، والبحث عن الحقيقة هدف بعيد المنال، فالحقيقة تبدو أبعد كثيرا من أي خيال.

عبث لا نهائي

هناك شخصيات من أجناس مُختلفة، من السود والبيض والصينيين والهنود، العملاق القوي مفتول العضلات الذي يستخدم القوة والعنف للنفاذ عبر الطوابق المختلفة مع حليفه غورينغ، والحكيم الطاعن في السن، الذي يُفسّر الإشارات وينصح باتباع التعاليم الحكيمة التي سرعان ما يثبت عدم جدواها. وحتى رمز البراءة، الطفل، الذي كان يُعتقد أنه لا وجود له في هذا المكان الغريب، سيعثر عليه غورينغ ورفيقه في الطابق الأسفل. لكن لا يبدو أنه سيكفل النجاة لبطلنا "المثقّف" الذي سيصبح مثل دون كيشوت، يُصارع طواحين الهواء حتى النهاية! هذا مكان للاختبار أكثر منه للإصلاح والتهذيب. والفكرة المُتكرّرة في الفيلم هي فكرة البقاء للأقوى، لمن يُمكنه أن يتغلّب على الآخر ويقهره بل وإذا اقتضى الأمر أيضا، أن يقتله ويأكل جثته.

التهام الطعام وسيلة البقاء

هناك الكثير من المفاجآت والمناظر المُفزعة والمقزّزة المقصودة للتعبير عن قسوة المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي وضراوته، وخاصة انعكاس "القمع الاستهلاكي" على الفقراء، مثل القتل والخنق وقضم اللحم البشري الحي والانتحار والشنق والدماء المتفجّرة والأمعاء التي تبرز من الجسد المقتول، وبقر البطون.. إلخ.

لكن المشكلة أن المتفرّج سرعان ما سيدرك المغزى الرمزي الكامن وراء هذا المزيج من المشاهد، ولا يجدي أن يُصبح التكرار سمة غالبة على الفيلم، كما يفقد الفيلم قوة إيقاعه وقدرته على المفاجأة، بعد أن أصبحت لعبة المخرج غالدرغاتزيلو أوروتيا Galder Gaztelu-Urrutia واضحة المعالم، ومن دون أن يصل المتفرّج إلى شيء في النهاية، فالفيلم رغم طرافة فكرته، والتنفيذ الممتاز للكثير من مشاهده، ينتهي نهاية أقل كثيرا ممّا توحي به بدايته القوية. ولكن لعل ما يجعله عملا جديرا بالمشاهدة إلى جانب قوة الخيال، الأداء التمثيلي القوي من جانب مجموعة الممثلين جميعا، وخاصة إيفان ماساغي في دور غورينغ، وزوريان إيغيليور في دور تريماغاسي.

تونس ترسل موسيقاها مع الريح.. هباء!

صابر بن عامر
صحافي تونسي

هذه المقالة، من وحي حادثة حصلت معي فعليا، حادثة فنية/ افتراضية جعلتني أهيب بخيالي مُحفزا لواقع فني أفضل بتونس الطاقات الإبداعية المنسيّة.

ففي يومي الثاني عشر من الحجر الصحي الذاتي، فتحت الكمبيوتر، لأنطلق في العمل عن بعد مع جريدتي، كما هي عادتي الجديدة منذ أن ألزمت نفسي -إثر انتهاء فعاليات مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية في دورته التاسعة بمصر، وعودتي إلى تونس- الانعزال عن العالم والناس، حتى تنتهي أيامي الـ14.

ففُوجئت بمقطوعة موسيقية تصلني من الملحن التونسي المُخضرم عبدالرحمن العيادي حمّلها على "الماسنجر" الخاص بي. وكتب: هذه معزوفة موسيقية عنوانها "مها" يعود تاريخ تلحينها إلى سنة 2000، هديتي لك... علّها تُرافقك". ومن لباقته لم يقُل في "محنتك" أو بعبارة أكثر لطفا في "وحدتك".

معزوفة من نحو ثماني دقائق، رافقتني، طوال الصباح، وأثناء الغداء، بل على امتداد يومي والذي يليه. رأيت عيون المها عبر المقطوعة الموسيقية وهي تركض في الصحاري، سمعت سليل الغزال وهو يُناديني للحاق به كي نشرب نخب الحياة من ينبوع ماء عذب كعذوبة المقطوعة وطراوتها، على نفسي صبيحتها.

فشُكرا، مايسترو على الحركة التي أسعدتني حدّ البكاء. شُكرا مُضاعفا أيها الفنان الذي لم ألتق به يوما، ولم أحادثه يوما، وكل ما يجمعني به صداقة افتراضية عبر الفيسبوك. بل إن الأدهى والأمر أنني أخطأت في حقّه ذات صائفة 2016، حين قدّم الفنان الشهير سهرة فنية ضمن فعاليات مهرجان قرطاج الصيفي الـ52، احتفاء بذكرى الميلاد الخمسين للفنانة التونسية/ العربية الراحلة ذكرى التي لحّن لها العيادي أروع أغاني بداياتها الفنية على غرار: "إلى حضن أمي يحن فؤادي"، و"ودّعت روحي معاه"، و"موش كل حب".. وأكثر من 20 أغنية أخرى.

> العديد من الملحنين التونسيين انسحبوا من المشهد الموسيقي، في ظل كساد سوق الأغنية ببلد لم يتمرّس بعد بآليات تسويق فنه

ليلتها، شاهدت العرض، وامتعضت قليلا، وأثناء خروجي من مسرح قرطاج الأثري استوقفتني إحدى المحطات التلفزيونية الخاصة (نسيت وحقّ السماء، لعن الله الكبر)، لتسألني عن رأيي في الحفل، فقلت: أنانية عبدالرحمن العيادي طغت على السهرة، فذكرى ليست أغاني العيادي فقط، ذكرى التونسية التي أصبحت في ما بعد عربية هي أيضا صلاح الشرنوبي وسعود الفيصل وطارق العريان وعلي الكيلاني وغيرهم.

وبعد يومين اتصلت بي الصديقة الراحلة منيرة حمدي التي شاركت بدورها في حفل التكريم، لتلومني بلطف -كعهدها دائما، رحمها الله- عمّا قلته في حق عبدالرحمن. وقالت مُنصفة: عزيزي صابر، إنه لم يُقصّر في تقديم أغاني ذكرى بألحان غيره، لكن ربما المسيرة الأكبر للمرحومة كانت مع العيادي.

فقلت باقتضاب: موضوع قابل للنقاش. تجنبا للدخول في جدال مُطوّل قد يُغضب صديقتي وصديقة العائلة الفنانة/ الراحلة منيرة.

تلك هي علاقتي بالمايسترو عبدالرحمن العيادي الذي لم يلمني، أو حتى يُجادلني عمّا صدر عن لساني السليط تجاهه، بل طلب صداقتي الافتراضية، إثر العرض، وقبلتها بكل حب.

ومن يومها وهو يُتابع سواء كتاباتي الصحافية بجريدة "العرب" أو تدويناتي الفايسبوكية، باللايكات أو التعليقات. إلى أن كانت يومياتي الأخيرة، ومقطوعته الأثيرة. فشُكرا مايسترو على سماحتك وهديتك. والحِلْمُ من الفنان لا يُستغرب؟!

كان لا بدّ من هذه التوطئة المطوّلة، كي نفهم مدى حجم الضيم الذي يعيشه موسيقيو تونس. فعبدالرحمن العيادي شكّل مع الراحلين، الشاعر حسونة قسومة والمطربة ذكرى، مثلثا متفرّدا جاد بأسخى ما لديه وشنّف الآذان بأغان رائعة حفظتها الذاكرة الموسيقية والشعبية بتونس والمغرب العربي كافة.

كما لحّن العيادي للعديد من الأصوات التونسية كأمينة فاخت والراحل حسن الدهماني ورحاب الصغير وآخرين.. وهو الذي ترأس قيادة الفرقة الوطنية للموسيقى لمدة تضاهي العقدين.

عبدالرحمن العيادي مثل مع مجموعة من الملحنين الأفذاذ على غرار الناصر صمود وسمير العقربي وعبدالكريم صحابو ومحمد صالح الحركاتي في سنوات الثمانينات وتسعينات القرن الماضي "ربيع الأغنية التونسية" التي عرفت انتعاشة موسيقية غير مسبوقة كلمة ولحنا.

إلا أن كل هذه الأسماء السابق ذكرها، أو جلها، تقريبا، انسحبت من المشهد الموسيقي التونسي في ظل كساد سوق الأغنية ببلد لم يتمرّس بعد بآليات تسويق الموسيقى التونسية محليا، فما بالك عربيا.

فالعيادي مثلا، ومن جيله الكثيرون، في رصيده من المقطوعات الموسيقية "الصامتة" (هكذا يصنّف أهل الفن المعزوفات الموسيقية غير المُغناة في تونس، وما هي بصامتة، حقيقة بل ثرثارة من حيث المقامات ومُتحركة نوتا وصولفاجا كحال مقطوعته المُهداة إليّ "المها") ما يزيد عن عشر معزوفات احتلت مكانا قصيّا في درج النسيان بمكتبه.

أجل، هكذا أبلغني، في اتصال هاتفيّ. فما ضرّ لو اقتنت بعض شركات الاتصالات بتونس، وما أكثرها، هذه المعزوفات، وبثّتها لعملائها في ثواني انتظارهم لاستقبال مُكالمة هاتفية ما؟ ما ضرّ لو مُرّرت هكذا مقطوعات موسيقية أصيلة الهوية والنوت الموسيقية المخصوصة لتونس في بهو النزل، فيسمعها التونسي والسائح على السواء على امتداد أيام إقامته؟ أليس في ذلك تسويق سلس للقوة الناعمة للمجتمعات والحضارات؟

عبدالرحمن العيادي وغيره كثيرون مُستعدون لذلك وأكثر، ودون مُقابل حتى، كما أبلغني بنفسه. لكن مُعضلة القائمين على الشأن الثقافي وأيضا السياحي في تونس ظلت وستظل مُرتهنة بانعدام الخيال لدى بعضهم، كي لا نقول غالبيتهم؟! فمتى تُعدم مقولة علي الدوعاجي الأثيرة "عاش يتمنى في عنبة، مات جابولو عنقود؟". لننتظر.. فربما تعلّمنا الجائحة التي ضربت العالم في مقتل أن "الفن أساس العمران".

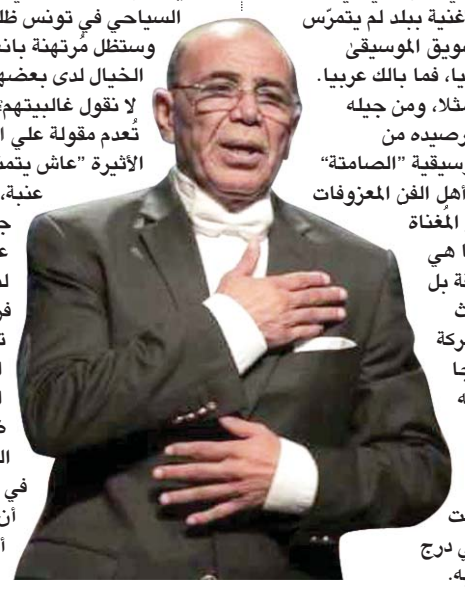

شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي بلا موعد

شرم الشيخ (مصر) - كان من المزمع أن تختتم، مساء الثلاثاء، فعاليات الدورة الخامسة من مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي، التي كانت مُبرمجة من غرة أبريل وحتى السابع منه. لكن تفشي فايروس كورونا المُستجد بمصر أجل الدورة إلى موعد لاحق، لم يُعلن عنه بعد.

وقال رئيس المهرجان الفنان المصري مازن الغرباوي لـ"العرب"، "حاولنا تقديم الدورة الخامسة، وكنا قد انتهينا من كل التجهيزات وتواصلنا مع كل الفرق التي كانت ستشارك في المهرجان، ولكن انتشار الفايروس في جميع أنحاء العالم صعّب إقامة الدورة الخامسة، ولذلك نشكر تفهم كل الفاعلين والضيوف، ونتمنى أن نعود قريبا لاستكمال تعاوناتنا المُبرمة مع الفرق المسرحية والنجوم الذين كانوا يستعدّون للمهرجان".

وأضاف "القرار جاء بعد مشاورات مع كافة الجهات المعنية وتواصل مستمر مع وزيرة الثقافة المصرية إيناس عبدالدايم وخالد فودة محافظ جنوب سيناء، واللذين أكّدا على اهتمامهما بصحة وأمن وسلامة ضيوف مصر الأعزاء، قبل أي شيء آخر".

وتحمل الدورة الخامسة من مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي (المؤجلة) اسم الفنانة المصرية الراحلة سناء جميل، وكانت ستُهدى جائزة التأليف لروح الكاتب المسرحي والناقد المصري الراحل أحمد سخسوخ.